بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(وقفات مع سورة ق)

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، أنزله هدى للمتقين وعبرة للمتعظين؛ فأحيا به القلوب، وأصلح به الأعمال، وذكّر به من الغفلة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده وسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

عباد الله: لقد كان النبي ﷺ يَعِظ الناس بهذا القرآن الذي جعله الله نوراً وهداية فلا أشفى لمرض القلوب من هذا القرآن، ولا شيء أقوم للأحوال من القرآن: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

ولقد كان النبي ﷺ يخطب الناس بسورة: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾.

روى الإمام مسلم في «صحيحه» عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها قالت: «ما حفظت "ق" إلا من فِي رسُول الله ﷺ يخطب بها كل جمعة».

أي: كثيراً ما كان يخطب بها رسول الله ﷺ لأنها سورة عظيمة ذُكر فيها المبدأ والمعاد مبدأ الإنسان منذ خلقه الله تعالى، وذكر أحواله وأعماله وغايته.

ابتدأ الله هذه السورة بالإنكار على المكذبين الذين كذَّبوا رسوله محمداً وأنكروا ما جاء به من البعث والحساب، فقال تعالى: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ

الكافِرونَ هذا شَيءٌ عَجيبٌ ۝ أَإِذا مِتنا وَكُنّا تُرابًا ذلِكَ رَجعٌ بَعيدٌ ۝ قَد عَلِمنا ما تَنقُصُ الأَرضُ مِنهُم وَعِندَنا كِتابٌ حَفيظٌ ۝ بَل كَذَّبوا بِالحَقِّ لَمّا جاءَهُم فَهُم في أَمرٍ مَريجٍ﴾.

فبيَّن الله تعالى أنهم حينما كذَّبوا بالحق لما جاءهم: اختلط عليهم الأمر والتبست عليهم الحقائق: ﴿فَهُم في أَمرٍ مَريجٍ﴾.

وهكذا عباد الله كل من كذَّب بالحق لابد أن تلتبس عليه الحقائق وتختلط عليه الأمور فلا يعرف الحقَّ من الباطل، ولا الصالح من الفاسد، ولقد نبَّه الله هؤلاء المكذِّبين بالبعث على قدرته على ذلك بما يُشاهدونه من هذه المخلوقات العظيمة الدالة على قدرته البالغة.

﴿أَفَلَم يَنظُروا إِلَى السَّماءِ فَوقَهُم كَيفَ بَنَيناها وَزَيَّنّاها وَما لَها مِن فُروجٍ ۝ وَالأَرضَ مَدَدناها وَأَلقَينا فيها رَواسِيَ﴾ رواسي: وهي الجبال. ﴿وَأَنبَتنا فيها مِن كُلِّ زَوجٍ بَهيجٍ ۝ تَبصِرَةً وَذِكرى لِكُلِّ عَبدٍ مُنيبٍ﴾.

ففي مد الأرض وبناء السماء وتزيين الأرض بالنبات البهيج وتزيين السماء بالنجوم النيرة، في كل هذا تبصرة وذكرى؛ يُبصر الأنسان بعقله ويتذكَّر بفِكره كمالَ قُدرة الله وحكمته.

ونبَّه سبحانه على قُدرته على البعث بما يُشاهده الناس من إنزال المطر وإخراج النبات بن من البساتين والحبوب، قال تعالى: ﴿وَالنَّخلَ باسِقاتٍ لَها طَلعٌ نَضيدٌ ۝ رِزقًا لِلعِبادِ وَأَحيَينا بِهِ بَلدَةً مَيتًا كَذلِكَ الخُروجُ﴾.

ثم حذَّر الله هؤلاء المكذبين مما فعله بالمكذبين السابقين الذين حقَّ عليهم وعيد الله بعذابه ونكاله بهم، وقرر سبحانه قدرته على إعادة الخلق مرة ثانية بقدرته على الخلق الأول: ﴿كَذَّبَت قَبلَهُم قَومُ نوحٍ وَأَصحابُ الرَّسِّ وَثَمودُ ۝ وَعادٌ وَفِرعَونُ وَإِخوانُ لوطٍ ۝ وَأَصحابُ الأَيكَةِ وَقَومُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعيدِ ۝ أَفَعَيينا بِالخَلقِ الأَوَّلِ بَل هُم في لَبسٍ مِن خَلقٍ جَديدٍ﴾.

ذكَّرهم الله تعالى بما حلَّ بالأمم السابقة من عقوبات ونِقم؛ لئلا يستمروا في التكذيب فيصيبهم ما أصاب إخوانهم من المكذبين، ثم بيَّن تعالى أن إعادة الخلق وبعثهم أهون من الابتداء، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذي يَبدَأُ الخَلقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَهُوَ أَهوَنُ عَلَيهِ﴾.

ثم بيَّن تعالى حال الإنسان من أول خلقه، وعلم الله سبحانه بتلك الحال وقربه منه، وأنه سبحانه يعلم ما توسوس به نفس الإنسان فضلاً عما يعمله ويُظهِره، وهذا مما يدعو الإنسان إلى مراقبة خالقه سبحانه، المُطلع على ضميره وباطنه، القريب إليه سبحانه في جميع أحواله؛ فيستحي منه أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره.

وكذلك ينبغي له أن يكون ذكر الملائكة الكرام الكاتبين منه على بال، فيُجِلهم ويوقرهم ويحذر أن يفعل أو يقول ما يُكتب عنه مما لا يُرضي الله رب العالمين، فقال سبحانه: ﴿إِذ يَتَلَقَّى المُتَلَقِّيانِ عَنِ اليَمينِ وَعَنِ الشِّمالِ قَعيدٌ ۝ ما يَلفِظُ مِن قَولٍ إِلّا لَدَيهِ رَقيبٌ عَتيدٌ﴾. أي: رقيب حاضر يكتب ما يلفظ به، ثم نهاية هذا الإنسان: فِراق دار العمل إلى دار الجزاء، فراق الدنيا إلى الآخرة.

﴿وَجاءَت سَكرَةُ المَوتِ بِالحَقِّ﴾. إنها سكرة فراق الأهل، إنها سكرة فراق المال، إنها سكرة فراق الدار؛ الدار التي ألِفها منذ خروجه من بطن أمه، إنها سكرة فراق العمل الذي كان يُأمِّلُه ويتمناه.

كما قال تعالى: ﴿حَتّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قالَ رَبِّ ارجِعونِ ۝ لَعَلّي أَعمَلُ صالِحًا فيما تَرَكتُ﴾. إنها سكرة الموت بالحق، لا سكرة الهوى، ولا سكرة الخمر واللذة.

﴿ذلِكَ ما كُنتَ مِنهُ تَحيدُ﴾ أي: تتأخر وتهرب منه، ولكن لا مفرَّ من الموت ولا مهرب.

﴿قُل إِنَّ المَوتَ الَّذي تَفِرّونَ مِنهُ فَإِنَّهُ مُلاقيكُم﴾.

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، أَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصلاةً وسلاماً على عبده المصطفى، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد، عباد الله: ثم بيَّن الله سبحانه في هذه السورة العظيمة؛ حال يوم القيامة؛ يوم الحساب والجزاء، فقال سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَومُ الوَعيدِ﴾. اليوم الذي يلحق الظالمين ما وعدهم الله به من العقاب، ويلحق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب.

فقال تعالى: ﴿وَجاءَت كُلُّ نَفسٍ مَعَها سائِقٌ وَشَهيدٌ﴾. سائق يسوقها إلى موقف القيامة فلا يمكنها أن تتأخر عنه، وشهيد يشهد عليها بأعمالها خيرها وشرها، وهذا يدل على اعتناء الله سبحانه بالعباد، وحفظه لأعمالهم، ومُجازاته لهم بالعدل.

فهذا الأمر مما يجب على العبد أن يجعله على باله، ولكن أكثر الناس غافلون.

ولهذا قال تعالى: ﴿لَقَد كُنتَ في غَفلَةٍ مِن هذا﴾. فيُقال للمُعرض المُكذب يوم القيامة هذا الكلام توبيخاً وتعنيفاً: لقد كنت مكذباً بهذا وتاركاً للعمل له، والآن كشفنا عنك غطاءك الذي غطَّى قلبك فكثُر نومك واستمر إعراضك: ﴿فَبَصَرُكَ اليَومَ حَديدٌ﴾. ينظر ما يزعجك ويُروِّعك من أنواع العذاب والنكال، وهذا خطاب من الله تعالى للعبد.

فإنَّ العبد المفرط يكون في هذه الدنيا في غفلة عما خُلق له، ولكنه يوم القيامة ينتبه، ويزولُ عنه وسَنُهُ وغفلتُه في وقت لا يمكنه أن يُتدارَك الفارط، ولا يُستدرك الفائت، وهذا كله تخويفٌ من الله تعالى للعبد وترهيبٌ له لذلك اليوم العظيم.

فعلى العبد **عباد الله** أن يلزم طريق أهل الإيمان؛ من الإيمان بالبعث والجزاء والحساب، الذين استحضروا مراقبة الله لهم واطلاعه عليهم، وقُربه منهم، فعملوا بطاعة الله، واجتنبوا معاصيه،

واستعدوا للوقوف بين يدي الله، واستحيوا من الله، ثم من الملائكة الكرام الكاتبين الذين يُسجِّلون كل ما يقول أو يفعل الإنسان من خير أو شر؛ فاعملوا لذلك اليوم عباد الله واستعدوا لذلك اليوم؛ يوم الجزاء والحساب.

وفقنا الله وإياكم لاغتنام الأوقات والسعي في الأعمال الصالحات، واجتناب الخطايا والسيئات، فإنه سبحانه قريبٌ مجيبٌ الدَّعوات.

اللهُمَّ أعزَّ الْإِسْلاَمِ وَالْمُسْلِمِينَ، وأَذِلَّ الشِّرْكَ والْمُشْرِكِين، وَاحْمِ حَوْزَةَ الدِّين.

اللهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَنِنَا، وَأَصْلِح أَئِمَّتَنَا وَوُلَاةَ أُمُورِنَا.

اللهُمَّ وفق جميع ولاة المسلمين للعمل بكتابك، واتباع سنة نبيك، وتحكيم شرعك.

اللهُمَّ وَفِّق إِمَامَنَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ لِما فِيه عِزُّ الْإِسْلاَمَ وَصَلاَحُ الْمُسْلِمِين.

اللهُمَّ وَفِّقْهُ وَوَلِيَّ عَهْدِهِ وَإِخْوَانَه وَأَعْوَانَه لِما تُحِبُّهُ وتَرْضَاه.

اللهُمَّ احفظ جنودنا المرابطين ورجال أمننا، وسدد رميهم يا رب العالمين.

اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتَك، وَتَحَوُّل عَافِيَتِك، وَفُجَاءَة نَقِمَتِك، وَجَمِيع سَخَطِك.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحسانِ وَإيتاءِ ذِي القُربى وَيَنهى عَنِ الفَحشاءِ وَالمُنكَرِ وَالبَغيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُم تَذَكَّرونَ﴾.

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

جمع وتنسيق/ عبد الله بن محمد حسين النجمي

خطيب جامع الحارة الجنوبية بالنجامية بمنطقة جازان